بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن اتبع هداه.

أما بعد،

فعندما عقدت العزم على إخراج كتابي (فتاوى معاصرة) منذ حوالي عشر سنوات، رأيت أن أكتب له مقدمة تتضمن فيما تتضمن ـ منهجي في الإفتاء، والقواعد التي يقوم عليها، مع بيان أهمية الفتوى ومكانتها في دين الله وحياة الناس، وشروط المفتي العلمية والأخلاقية، ومزالق المتصدّين للفتوى في عصرنا الحاضر.. ثم رأيت هذه المقدمة قد طالت أكثر مما ينبغي، فأبقيت ما رأيت أنه ملائم لتقديم الكتاب، وتعريف القارئ بمنهج صاحبه، وفصلت الباقي عنه، ونشرته مستقلاً في مجلة (المسلم المعاصر) في حلقتين.

والآن طلب إليَّ بعض الإخوة المهتمين بشؤون الفكر والثقافة الإسلامية، أن أنشر هذا البحث في كتاب أو كتيب، لتعميم النفع به، فما ينشر في المجلات الفكرية لا يقرؤه إلا عدد محدود.

وقد زكّى هذا عندي، ما لمسته من تعجل بعض الناس بالفتوى، وتورطهم بالإجابة الحاسمة في أشد الأمور خطرًا، محرِّمين أو محللين، دون أن يُحصّلوا الحد الأدنى من الشروط اللازمة لمن يقول للناس: هذا

حلال، وهذا حرام؛ بل رأيت من الشباب المتدين الطريّ العود؛ من يُقْحم نفسه في هذا المضيق، ويجترئ، على القول في دين الله، بغير أهلية لهذا الأمر الخطير، ولعلك لو سألتـهُ عن الخاص والعام، أو المنطوق والمفهوم، لم يدر شيئًـا مما تقول. بل لعلك لو سألته أن يعرب لك جـملة، أو شبه جملة لقابلك بالصمت، أو أجاب بما يدل على الجهل الفاضح!

ومما يؤسف له أن هذا الشباب ينسب إلى تيار (الصـحوة الإسلامية) وتستغل مواقـفه هذه وأمثالها للإنكار عليها، والتنديد بهـا، كما يؤخذ حجة علينا نحن دعاة الصحوة وموجهيها والمدافعين عنها.

بيد أن من الحق أن نقـول أيضًا: إننا ندعو إلى الصـحوة وندعمـها بكل طاقاتنـا، وندفع ـ بأكفِّنا وصدورنا ـ عـدوان ـ العادين عليـها، والمتـربصـين بها، والـكائدين لهـا.. ولكننا ـ مع هذا ـ نعـمل على ترشيد مسـيرتها، وتسديد خطواتها، وتقويم خطئـها إذا أخطأت، كما يصنع الأب الحاني مع أبنائه، والمعلم المربي مع تلاميذه.

ورأيت من النافع في هذا المقام؛ أن أضيف إلى البحث بعض ما كتبته في مقدمة (الفتاوى)، إلى بعض لمسات وتحسينات وإضافات أخرى، وهذا يحدث دائمًا كلمـا أعاد المرء النظر فيمـا كتبه من قبل، وهو مـا نبه عليه القاضي الفاضل: عـبد الرحيم البيساتي قـاضي صلاح الدين من قديم، وجعله من أعظم العبر، ودليل استيلاء النقص على جملة البشر[1]!

---

(١) هكذا شاع بين الأكثـرين، وبالرجوع إلى المصادر تبين أنه من كـلام القـاضـي الفاضـل عبد الرحيم البيساني؛ أرسل به إلى العمـاد الأصفهاني. قال صاحب (كشف الظنون): وقد =

اللهم علمنا مـا ينفعنا، وانفـعنا بما علمتنـا، وزدنا علمًا. نحـمدك اللهم على كل حال، ونعوذ بك من حال أهل النار[1].

الفقير إلى ربه

يوسف القرضَاوي

****

= كتب أستـاذ العلماء البلغاء القاضي الفـاضل عبد الرحيم البـيساني إلى العماد الأصـفهاني معتذرا عن كلام استدركه عليه: إنه قد وقع لي شيء وما أدري أوقع لك أم لا؟! وها أنا أخبرك به؛ وذلك إني رأيت أنه لا يكتب إنـسان كتابًا في يومه إلا قال في غـده: لو غير هذا لكان أحسن، ولو زيد كذا لكان يستحسن، ولو قدم هذا لكان أفضل، ولو ترك هذا لكان أجمل، وهذا من أعظم العبر، وهو دليل على استيلاء النقص على جملة البشر. انظر: كشف الظنون (١/ ١٤) وأبجد العلوم (١/ ٧٠).

(١) كتـبت هذه المقدمة في الطائـرة الخليجيـة المتجهـة من الدوحة إلى القاهرة في جـمادي الآخرة ١٤٠٨هـ، الموافق ٢٣/ ١/ ١٩٨٨م. ولله الحمد والمنة.

obeikandl.com